المقدمة

التربية بين المثال والواقع

بقلم الدكتور أحمد طحّان

بعد صدور كتاب المربي مصطفى الطحّان «التربية وأثرها في تشكيل السلوك» عن دار المعرفة في بيروت عام 2006، وبعد الإقبال الجيد عليه، رأيتُ من واجبي أن أستمر بالبحث عن مكملات لمهارات التربية وخبراتها التاريخية والمعاصرة المذكورة في الكتاب، فرأيت ذلك فيما كتبه المؤلف في معالمه التربوية حول التربية بالقدوة والتربية بالقصة، وهي المادة المؤلفة لهذا الكتاب.

ينقسم كتاب: «**تربية الأجيال وفق منهج النبوة**» إلى قسمين:

يبحث القسم الأول في مضامير التربية عبر القدوة، والقدوة هي طاقة تربوية فاعلة وقادرة على التأثير في نفس وعقل المتلقي إذا ما توفر لها الصدق والصواب والحكمة.

وقد جعل المؤلف سيدنا رسول الله ﷺ القدوة الأساسية في الحياة، فهو القائد الشجاع في الحرب، وهو الداعية الرحيم والمحب في السلم، وهو الزوج المثال، والأب الصادق الود، وهو النبي الرؤوف بأمته، الأمين على التراث الإنساني إلى يوم القيامة.

ولكن النبي ﷺ علمنا أيضاً أن الخير فيه وفي أمته إلى يوم القيامة، في صحابته وتابعيه، وأن الله تعالى يبعث على رأس كل قرن من يجدد أمر دينه من الدعاة والصالحين، فهم قدوات زمنية وأمثلة تنهل من منهج النبوة وتعيش الحياة

غاية لعمارة الأرض بالخير والنماء، وهو الهدف النهائي لجميع العباد على وجه الأرض... ولذلك نجد الكاتب وقد تدرج معنا في القدوات التي لا تعرف الحواجز الزمنية، لأن الفكرة في القدوة هي الأساس، فمن عمر بن الخطاب إلى عمر التلمساني على سبيل المثال عُمَران تفصل بينهما مئات السنين وتجمع بينهما الدعوة الصادقة الواعية المصممة على نشر الخير وإصلاح الرعية وكسب رضى الله سبحانه والفوز بجنانه.

يظهر الكتاب في كل أجزائه أن رقيّ الأفكار لا يكمن في المثال الغابر فقط، ولكنه يتجدد مع كل همة أرادت أن تحقق نفسها في الدوحة النبوية الكريمة على أرض الواقع الذي تعيش فيه.

الجزء الثاني من الكتاب حول التربية بالقصة.

والقصة المقصودة في الكتاب هي القصة الهادفة لتأكيد الأفكار السامية التي يحتاجها المتلقي ليصبح عضواً في سعادة الدوحة النبوية الشريفة، وقد مثّلت القصة ثلث القرآن، وتخصصت بتفاصيلها وإيحاءاتها العديد من السور الطوال من القرآن الكريم كسورة يوسف عليه السلام، التي تربي الشباب على دروس أساسية في تهذيب النفس وترويضها والصبر على الفتنة واللوذ بالله وحده في الشدائد والصبر على كل ذلك... وقد انتصر يوسف عليه السلام بعد تلك المراحل الطوال من المعاناة والتقوى والإصرار، فأصبح مثالاً للسالكين حتى يوم الدين...

بدأت قصص القرآن الكريم بقصة الخلق، حيث لا شيء في الوجود سوى عرشه سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾[1]، ثم شاء الله تعالى فخلق السمٰوات والأرض وما بينهما وما فيهما في ستة أيام، واضعاً لكل مخلوقاته نواميسها وقوانينها وتفاصيلها وقدواتها، لهدف واضح هو اختبار الخلق وإسعادهم وتمييزهم بالطاعة أو المعصية.

(1) سورة هود، الآية: 7.

القصة في القرآن الكريم هي الوسيلة المبدعة التي توصل هذه المعاني إلى الأجيال بشكل يتناسب مع نموهم العقلي والنفسي ورغباتهم بالتقليد واختيار البطل والتمثل بشخصيته وأفعاله.

كتاب: «تربية الأجيال وفق منهج النبوة» مؤلف هام في تربية الأجيال وتوجيههم إلى الأفضل ضمن خصائص الدوحة النبوية العطرة، أقترح اعتماده جزءاً رئيساً في مناهج التربية الحديثة.

والله من وراء القصد..

د. أحمد طحّان

عرمون في ٢٠٠٨/٨/١٠

obeikandl.com